٦ ــ وهم

الوزارة(١) آمنة على كل شيء ، آمنة على الحياة الداخلية لأن النظام مستقر ، ولأن الناس يحبونها ، ولأن خصومها قد خسروا كل شيء ، وأخفقوا فى كل شيء ، ولكن نبأ كاذبا يأتيها من المنوفية بأن قوما يعملون فى صنع القنابل فتنزعج حتى يذهب عنها الرشد ، ويغيب عنها الصواب . وإذا شرطة الأقاليم كلها وضباط الإقليم جميعا يجتمعون ويحشدون ويرسلون إلى حيث زعم منبيء الوزارة أن القنابل تصنع ، وإذا حصار منظم للمدينة وتفتيش منظم لمنازلها ، وتضييق شديد على أهلها ومضارة مسرفة للخارجين منها والداخلين فيها . ثم ينجلى الأمر عن أن رجلا أراد أن يعبث بالوزارة فكذب عليها وهزىء منها واضطرها إلى أن تتكلف ما تكلفت من نفقات ، وتحدث ما أحدثت من اضطراب وتخلى الإقليم من حراسه وحفظة الأمن فيه ، وتعرض عشرات من الناس للخطر المنكر فى الأنفس والأموال . والوزارة آمنة على كل شيء ، لأن خصومها قد خسروا كل شيء ، وأخفقوا فى كل شيء ، ولأنها قد وثقت بحب الناس لها وثقتهم بها ، واطمئنانهم إليها .

ولكن نبأ كاذبا يأتيها بأن رئيس الوفد سيصلى الجمعة فى حى من أحياء القاهرة ، فإذا شرطة تحشد ، وجنود ترصد ، واستعداد عسكرى فى هذا الحى ، وتضييق على الذاهبين للصلاة والمنصرفين إلى أعمالهم ، وتأهب لمعركة حاسمة ككل هذه المعارك التى تتأهب لها الوزارة ، ثم ينجلى الأمر فإذا هو خيال فى خيال ، وإذا الرئيس لم يزر هذا الحى ، ولم يفكر فى زيارته ، وإنما أدى الصلاة فى حى آخر من أحياء المدينة .

---

(١) ٦ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

ومع هذا كله فالوزارة آمنة على كل شيء ، لأن النظام مستقر ، والأمن موفور . هذا رئيس الوزراء يستريح فى مزارعه ، وهذا وزير التقاليد يزور المنصورة . وهذا وزير الزراعة يغزو الصعيد ، فلو لم يكن كل شيء هادئا مطمئنا لما تفرق الوزراء على هذا النحو . وليس بأس بأن يتفرق الوزراء ما دام وزير الداخلية قابعا فى القاهرة يستطيع أن يجمع الشرطة ويفرقها ، ويستطيع أن يقذف بوحدات الجند متى شاء فى القرى والمدن والأحياء .

كل شيء هادىء وإن كانت أكذوبة رجل مجهول تكفى لإزعاج الحكومة ! وكل شيء مطمئن وإن كان خيال مصطفى النحاس يكفى لإقلاق الدولة وحشد الجند وغزو الأحياء الآمنة الساكنة ! وكذلك يريد الله أن تجتمع النقائض فى هذا البلد فيهدأ فيه كل شيء ، ويطمئن فيه كل شيء ، وتذعر الحكومة فيه لكل شيء ، وتفزع الحكومة فيه حتى من الخيال ! وتعلن الوزارة وصحفها أن الوزارة لم تكن فى يوم من الأيام أقوى مما هى الآن ! وتعتقد الوزارة أن الناس يصدقونها ، ويؤمنون لها بالقوة والبأس والاطمئنان والهدوء . والوزارة آمنة على كل شيء فى حياتها الخارجية ، أمورها وأمور الدولة تجرى كلها على ما تحب وتهوى . فقد أذعنت فرنسا وإيطاليا وأقسمتا جهد أيمانهما على أنهما ستقبلان أن يؤدى إليهما الدَّين ورقا ، لا ذهبا . وآية ذلك أن الوزراء يتفرقون ، وأن رئيسهم يقضى آخر الأسبوع فى الريف ، وإن كان كل شيء يدل على أن فرنسا متمسكة برأيها ، لم تعدل عنه قيد شعرة ، ولم تغير منه حرفا ، وعلى أن إيطاليا لن تحدث فى الأمر شيئا إلا أن تعدل فرنسا عن موقفها .

وعطاءات جبل الأولياء قد تم درسها فى وزارة الأشغال ، ورأى وزير الأشغال فيها رأيه حرا مستقلا ، وسيعرض هذا الرأى على مجلس الوزراء ليقره حرا مستقلا ، وإن قالت الصحف إن الأمر ليس كما يقال ، وإن مصير هذه العطاءات سيقرر على غير ما تشتهى الوزارة ، وإن الوزارة ستذعن لغير ما تحب ، لأنها لا تريد أن تحدث أزمة بمخالفة الإنجليز . وإذن فستمضى إرادة الإنجليز فى هذه العطاءات رغم مجلس الوزراء ، ورغم ما يشتهى مجلس الوزراء ،

وسيذعن مجلس الوزراء لهذه الإرادة مسرعا متعجلا قبل أن يتم مجلس الشيوخ نظر ميزانية وزارة الأشغال وإقرار ما فيها من اعتماد لجبل الأولياء ، وسيتورط المجلسان جميعا ! ذلك ينزل على رأى الأجنبى ، وهذا يقبل أن يوضع أمام الأمر الواقع .

ولكن الوزارة آمنة على كل شىء فى حياتها الداخلية والخارجية ، لم تكن فى يوم من الأيام أقوى منها الآن ! ألم يتحدث رئيسها إلى زملائه فى مجلسهم بأن صديقه المندوب السامى عائد إلى مصر من غير شك ، ومقيم فيها من غير شك ، وبأن اللجنة الإنجليزية المصرية قد فشلت كل الفشل ، وأخفقت كل الإخفاق فيما حاولت من تغيير الموقف السياسى فى مصر ؟ بلى تحدث الرئيس إلى زملائه بهذا وإن زعم أنه لم يتحدث لأن الأهرام أكدت أخبارها وتحدَّت رئيس الوزراء فلم يحر جوابا ، ولم يصنع شيئا ! إذن فالمندوب السامى عائد إلى مصر من غير شك ، ومقيم فيها من غير شك وإن أعلن رسميا أن عودته تأخرت إلى أجل غير معروف ، وأن عقيلته لاحقة به ، واللجنة الإنجليزية المصرية قد أخفقت فى سعيها لتغيير الموقف ، وإن اتصلت أحاديث الناس فى القاهرة وفى لندرة بأن هذه اللجنة لم تتم سعيها بعد ، وبأن استقالة الوزارة فى أجل قريب جدا أمر لا منصرف عنه ، وإن سئل وزير الخارجية عن أمور مصر فى مجلس النواب الإنجليزى منذ أيام فلم يقل شيئا ، لأن الوقت لم يحن بعد ليقول وزير الخارجية البريطانية ما ينبغى أن يقول .

كل شىء هادىء حول الوزارة فى داخل مصر وخارجها ، وكل شىء مطمئن ولكنه هدوء موهوم ، واطمئنان يتحدث به الخيال فأما الحق الذى يدل عليه كل شىء ، فهو أن أسباب بقاء الوزارة قد رقَّت حتى أصبح أيسر الأشياء خليقا أن يقطعها . قوّتها فى داخل مصر وهمية ، ولولا ذلك لما عبثت بها الأكاذيب ، ولما لعب بها الخيال ، وقوتها فى خارج مصر وهمية ولولا ذلك لما تحدتها الأهرام غير حافلة بقوتها ، ولا ملتفتة إلى سطوتها ، ولا خائفة منها بأسا ، لأن البأس الصحيح الذى يخاف إنما هو الذى يعتمد على الحق . والوزارة فى موقفها

لا تعتمد على الحق ، والوزارة فى موقفها لا تعتمد على الواقع وإنما تعتمد على الوهم وتتعلق بأهداب الخيال ، ولسنا ندرى ما يكون شأن الوزارة لو وصلت إليها البلاغات الكاذبة من أطراف مصر فى كل يوم ، أتعبىء الشرطة فى الأقاليم جميعا ، وتدور بالضباط والجنود فى كل مكان ، وتخيل إلى الناس أن الأمن الموفور قد ذهب ، وأن النظام المستقر قد اضطرب ؟!

ولسنا ندرى ما يكون شأن الوزارة لو أن الأهرام صدمتها فى كل يوم بالتحدى كما فعلت فى الأيام الأخيرة الماضية ، أتصدر البلاغات الرسمية ؟ فإذا أصرَّت الأهرام على ما تقول هانت الوزارةعلى نفسها ، واستكانت الوزارة للأهرام كما فعلت فى الأسبوع الماضى حتى يؤمن الناس إن لم يكونوا قد آمنوا بالفعل بأن بلاغات الحكومة تحترم ، ولكن تصديقها شىء واحترامها شىء آخر .

وهذه الأهرام تتحدث اليوم بعد أن تحدثت أمس ، وتلح اليوم بعد أن ألحَّت أمس ، وتؤكد اليوم بعد أن أكَّدت أمس أن الوزارة تتعجَّل البت فى عطاءات جبل الأولياء قبل أن يتم مجلس الشيوخ نظر ميزانية الأشغال .

وهذه السياسة تقول اليوم إن أمر هذه العطاءات سيتم على غير ما تريد الحكومة المصرية ، والناس يتحدثون ويلحُّون فى الحديث بأن مسألة الدَّين تزداد تعقيدا من يوم إلى يوم ، وأن الحرج يستحكم حول الوزارة من حين إلى حين وإن تفرق الوزراء فى الأقاليم واستراح رئيسهم فى الريف ، أفترى الوزارة مصدرة بلاغات رسمية تكذب بها الأهرام والسياسة ؟ فما عسى أن تصنع إذا احترمت الأهرام والسياسة بلاغات الحكومة وأصرتا بعد ذلك على ما تقولان ؟

ليس الغريب أن تزعم الوزارة لنفسها القوة ، وأن تؤمن الوزارة لنفسها بطول البقاء ، فكل إنسان عرضة للأمل ، وكل إنسان عرضة لأن يخدعه الخيال ، وإنما الغريب أن تترك أمور بلد كمصر على ما لها من خطر ، وعلى أنها أمور شعب كامل خاضعة لوزارة كل قوتها تعتمد على الوهم وتستمد من الخيال !.